بسم الله الرحمن الرحيم

معنى الاعتداء في الدُّعاء

قال بكر بن عبد الله أبو زيد في «تصحيح الدُّعاء»: «والاعتداء في الدُّعاء هو تجاوز الحدِّ الّذي حدّه الشّرع المطهّر فيه، فيحصل في الدُّعاء من الخلل بحسب ما يحصل من التّجاوز قوّةً وضعفًا، من الشّرك ووسائله، من البدع والمحدثات».

حكم الاعتداء في الدُّعاء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في «الفتاوى الكبرى»: «ويحرم الاعتداء في الدُّعاء لقوله تعالى: (إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)، وقد يكون الاعتداء في نفس الطّلب، وقد يكون في نفس المطلوب».

ومن النُّصوص الدّالّة على تحريم الاعتداء في الدُّعاء: ما ثبت عن النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أنّه قال: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ والدُّعَاءِ» صححه الألباني في «صحيح أبي داود»

أنواع الاعتداء في الدُّعاء وأمثلته

الاعتداء في الدُّعاء يشتمل على أنواع كثيرة، وهي ما بين المكروه والمحرّم، ويقع في الألفاظ كما يقع في المعاني، وفي الأداء وفي الطّريقة، وسنعرض أنواعه وأمثلته حسب الأهميّة والخطورة.

❁ الأوّل الشّرك بالله تعالى في الدُّعاء: قال شيخ الإسلام في «المجموع»: «فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانًا، فإنّ أعظم العدوان الشّرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان لابدّ أن يكون داخلاً في قوله: (إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).

❁ الثّاني الابتداع في الدُّعاء: الابتداع في الدُّعاء يكون أحيانًا بزيادة ألفاظٍ على الدُّعاء المأثور، وأحيانًا يكون بإحداث دعاءٍ لم يثبت في السُّنّة، ولكلٍّ منهما أمثلة كثيرة.

ويكثر هذا النّوع من الاعتداء في الأدعية المحدَثة المبتَدَعة الّتي أنشأها بعض المتكلّفين، وكتبها بعض المتخرّصين دون رجوعٍ إلى الكتاب والسُّنّة، ودون اعتبارٍ لدعوات الأنبياء والمرسلين، وأدعية سيّد الأوّلين والآخرين.

❁ الثّالث سؤال الله تعالى ما لا يجوز له سؤاله: ومن صور هذا النّوع من الاعتداء:

- سؤال ما لا يليق بالعبد الدّاعي: قال شيخ الإسلام: «كما يسأل الرّجل ما لا يصلح، ...، مثل أن يسأل منازل الأنبياء ونحو ذلك، فإنّ الله قادر على ذلك، ولكن مسألة هذا عدوان».
- سؤال الله تعالى المعونة على فعل المحرّمات وغشيان المعاصي وتيسير الأسباب الموصلة إليها: فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - قال: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». رواه مسلم.
- الدُّعاء على مَنْ لا يستحقّه: لما في ذلك من الظّلم والعدوان الّذي حرّمه الله، كالدُّعاء على النّفس والأهل بالهلاك أو الضّياع، قال النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -: «لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ». رواه مسلم. ومن الأدعية الّتي نسمعها كثيرًا في خطب الجمعة ودعاء القنوت والّتي فيها هذا النّوع من الاعتداء قول الدّاعي: «اللّهمّ أبرم لهذه الأمّة أمر رشدٍ يُعزّ فيه أهل طاعتك ويُذلّ فيه أهل معصيتك». والأولى أن يُستبدل لفظ «يُذلّ» بـ«يُهدى»؛ لأنّه لا أحد من المسلمين يسلم من معصية الله. وعليه: فالدُّعاء على الكفّار بالاستئصال والإبادة نوع من الاعتداء في الدُّعاء، جاء في فتوى «اللّجنة الدّائمة» «وقول الكاتب: «اللّهمّ عليك بالكفّار والمشركين واليهود، اللّهمّ لا تُبقِ أحدًا منهم في الوجود، اللّهمّ أفنِهم فناءك عادًا وثمود»، والدُّعاء بفناء كلّ الكفّار اعتداء في الدُّعاء؛ لأنّ الله قدّر وجودهم وبقاءهم لحكمة، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد».
- سؤال الله بما يناقض شرعه وأمره أو خبره أو حكمته: كالدُّعاء للكفّار بالمغفرة والرّحمة لنهي الله تعالى نبيّه - صلّى الله عليه وسلّم - وسائر المؤمنين عنه، أو سؤال الله العافية مدى الدّهر، أو سؤاله العصمة من الذّنوب. الدُّعاء بأن لا يُحوجه لأحد من خلقه، أو أن لا يبتليه الله إلاّ بالّتي هي أحسن.

ومن الأدعية المنتشرة عند نزول المصائب: «اللّهمّ إنّا لا نسألك ردّ القضاء ولكن نسألك اللُّطف فيه»، ومثل هذا الدُّعاء محرّم لا يجوز، وذلك لأنّ الدُّعاء يردُّ القضاء كما جاء في الحديث، وفيه نوع تحدٍّ لله.

❁ رابعًا سوء الأدب في دعاء الله ومناجاته: وذلك بأن يخاطب الدّاعي ربّه على حالة أو هيئة لا تليق بمقام الدُّعاء ومن يدعوه، أو يأتي بألفاظ وجملٍ تنبئ عن سوء أدب وقلّة حياء وركاكة عقل. وصور هذا النّوع من الاعتداء كثيرة، ومنها:

- رفع الصّوت بالدُّعاء فوق الحاجة: لأنّ الأصل في ذلك الإسرار بالمناجاة كما قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً).
- دعاء الله من غير تَضرُّع ولا إظهار للتّذلّل والخضوع: قال شيخ الإسلام في «المجموع»: «ومن العدوان أن يدعوَه غير متضرّع، بل دعاء هذا كالمستغني المُدَلّي على ربّه، وهذا من أعظم الاعتداء لمنافاته لدعاء الذّليل، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرّع خائف فهو معتدٍ».
- الدُّعاء بتكثير الكلام وتفصيله ممّا لا لزوم له: ومن ذلك التّطويل في تشقيق العبارات، وتنميق الألفاظ، والمبالغة في ذكر التّفاصيل. كقول الدّاعي: «اللّهمّ ارحمنا فوق الأرض، وارحمنا تحت الأرض، وارحمنا يوم العرض»؛ فهذا إضافة إلى أنّه دعاء مخترع تُكُلِّف فيه السّجع، ففيه ألفاظ زائدة لا حاجة إليها، ويكفي أن يقول: «اللّهمّ ارحمنا في الدُّنيا والآخرة»، وهدي النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - كما قالت عائشة: «كان النّبيُّ - صلّى الله عليه وسلّم - يستحب الجوامع من الدُّعاء ويدع ما سوى ذلك»
- تقصُّد السّجع في الدُّعاء وتكلُّفه: والسّجع موالاة الكلام على رويٍّ واحد، فتكلُّفه مانع من الخشوع ومُنافٍ للضّراعة والابتهال. وقال البخاري في «صحيحه»: (باب ما يكره من السّجع في الدُّعاء)، وساق تحته أثرًا عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وفيه: «فانظر السّجع من الدُّعاء فاجتنبه، فإنّي عهدت رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - وأصحابه لا يفعلون إلاّ ذلك» يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب. ومن السّجع المتكلّف ما يُشعر السّامعَ أنّ الدّاعي يلقي موعظة

أو يقرأ خطبة، كقول بعضهم: «اللّهمّ ارحمنا إذا ثقل منّا اللّسان، وارتخت منّا اليدان، وبردت منّا القدمان، ودنا منّا الأهل والخلاّن، وشخصت منّا العينان...»، وقول الآخر وهو يدعو على الكفرة: «اللّهمّ لا تدَع لهم طائرة إلاّ أسقطتها، ولا سفينة إلاّ أغرقتها، ولا دبّابة إلاّ نسفتها، ولا مدرّعة إلاّ دمّرتها، ولا .. الخ»، وكأنّه يملي على العزيز المقتدر كيف يصنع بأعدائه وينزل عليهم عقابه، وقول الدّاعي: «يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظّنون ولا يصفه الواصفون»، قال الشّيخ ابن عثيمين في «الفتاوى» عن هذا الدّعاء: «هذه أسجاع غير واردة عن النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -، وفيما ورد عنه من الأدعية ما هو خير منها من غير تكلّف».

- دعاء الله بذكر أسماء وأوصاف وثناءات لم يُثنِ بها الله على نفسه ولا رسوله - صلّى الله عليه وسلّم - ولم يأذن فيها ومن ذلك قول بعضهم: «يا مَن أمره بين الكاف والنُّون». وهذا كما قال الشّيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «غلط عظيم، والصّواب: «يا مَن أمره بعد الكاف والنُّون»؛ لأنّ ما بين الكاف والنون ليس أمراً، فالأمر لا يتمّ إلاّ إذا جاءت الكاف والنُّون؛ لأنّ الكاف المضمومة ليست أمراً، والنُّون كذلك، لكن باجتماعهما تكون أمراً» ومن ذلك قولهم في دعاء الثّناء: «في السّماء مُلكُك، وفي الأرض سلطانُك، وفي البحر عظمتُك ..». وهذه العبارة - كما جاء في فتوى (اللّجنة الدّائمة) -: «تركُها أولى، لأنّ فيها إيهامًا فقد يظنّ منها البعض تخصيص الملك بالسّماء فقط، أو السّلطان بالأرض فقط، وهكذا، وعظمة الله وملكه وسلطانه وقهره عامّ في جميع خلقه.

أمور ليست من الاعتداء

- الإكثار من الدّعاء: قال - صلى الله عليه وسلم -: «إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّهُ يَسْأَلُ اللهَ» «صحيح الجامع»
- السّجع إذا لم يكن متكلّفا ولا مقصودًا: كما في «الفتح» (11/ 129) - : «ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصّحيحة؛ لأنّ ذلك كان يصدر من غير قصد إليه، ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام، كقوله - صلّى الله عليه وسلّم - في الجهاد: «اللّهُمّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، هَازِمَ الأَحْزَابِ»، وكقوله - صلّى الله عليه وسلّم -: «صَدَقَ وَعْدَهُ وَأَعَزّ جُنْدَهُ» الحديث، وكقوله: «أَعُوذُ بكَ مِنْ عَيْنٍ لاَ تَدْمَعْ، وَنَفْسٍ لاَ تَشْبَعْ، وَقَلْبٍ لاَ يَخْشَعْ»».
- اللّحن في الدّعاء إذا صدر من غير عارف بالنّحو وقواعده: سئل شيخ الإسلام عن رجلٍ دعا دعاءً ملحونًا، فقال له رجل: ما يقبل الله دعاءً ملحونًا, فأجاب - رحمه الله - بما نصّه: «من قال هذا القول فهو آثم مخالف للكتاب والسُّنّة ولِما كان عليه السّلف، وأمّا من دعا الله مخلصًا له الدّين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاءه، سواء كان مُعرَبًا أو ملحونا, والكلام المذكور لا أصل له، بل ينبغي للدّاعي إذا لم يكن عادته الإعراب أن لا يتكلّف الإعراب، قال بعض السّلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع...»
- الدعاء بجميع أدعية القرآن الخاصة بالمؤمنين من الأنبياء وغيرهم: ويستثنى من ذلك ما علم أنه خاص بنبي كدعاء نوح مثلاً على أهل الأرض بالهلاك: (رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) فإن هذا الدعاء كان بعد أن أعلمه الله أنه لا يؤمن من قومه إلا من قد آمن.

ومن أمثلة دعاء المؤمنين دعاء خاتمة البقرة: (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)؛ فهذا الدعاء عده بعض أهل العلم من الاعتداء في الدعاء بسبب أن الله أجرى هذا حكما في أنه لا يؤاخذ من نسي أو أخطأ ولا يكتب عليه وزرا، فمن دعا به - وهو عالم بأن الله قد أعطاه إياه - فكأنه شك في تكفل الله به. والصحيح أن هذا ليس من الاعتداء في الدعاء؛ لأن عدم المؤاخذة على النسيان والخطأ خاصٌ بالمؤمن الموحد، فكان الداعي بهذا يسأل ربه أن يكون من زمرة المؤمنين الموحدين الذين أكرمهم الله بهذا الفضل والإحسان.

هذا ما تيسر جمعه والوقوف عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله و صحبه.

لتحميل هذه المطوية : liveibooks.wordpress.com

نشرت ضمن مشروع " حتى لا يبقى العلم حبيس الرفوف "
Live.ibooks@gmail.com

الاعتداء في الدعاء

مفهومه, أنواعه, أمثلته

لفضيلة الشيخ : عز الدين رمضاني
(بتصرف)

الدُّعاء من أجلِّ العبادات وأعظم الطّاعات وأنفع القربات، وهو زاد المؤمنين المتّقين، وعنوان التّذلّل والخضوع لربِّ العالمين، نوّهت به النّصوص الشّرعيّة، وبيّنت مكانته وفضله وعظم شأنه، وأمرت به وحثّت عليه، وحذّرت من تركه والاستكبار عنه، وقد سمّاه الله في القرآن عبادة في أكثر من آية. كقوله سبحانه (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). وقال النبي ﷺ " الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ "

أخي الكريم ساهم في نشر هذه المطوية بإهدائها لغيرك بعد قراءتها أو نسخها عسى أن تكون لك صدقة جارية